الفصل الخامس عشر[١]

فى ذكر ورد العبد من التسبيح والذكر والصلاة فى اليوم والليلة، وفضل صلاة الجماعة، وذكر أفضل الأوقات المرجو فيها الإجابة، وذكر صلاة التسبيح، وما يُستحب أن يكون شعاره [من أخلاق السلف][٢]

ليكن للعبد فى كلّ يوم وليلةٍ وردٌ من التسبيح، وأقلُّ ذلك تِسعمائة مرة من أنواع الأذكار التى وردت بها الأخبار. فليقل:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، يحيى ويميت وهو حىٌّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، مائة مرة. فإذا قال ذلك مائتى مرة لم يعمل أحد فى يومه أفضل من عمله، بأثرٍ فيه عن رسول الله ﷺ.

وليقل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، مائة مرة.

وليقل: اللهم صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى، مائة مرة.

وليقل: أستغفر الله الحى القيوم، وأسأله التوبة، مائة مرة.

وليقل: سبحانَ اللهِ العظيم وبحمده، مائة مرة.

وليقل: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، مائة مرة.

وليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، مائة مرة.

يقول هذا فى كلّ يوم، وفى كل ليلة، فإن رُزق مزيداً عليه فهو فضل، وإلاّ كان هذا معلومه. وقد كان فى الصحابة مَن وِردُه كلَّ يومٍ اثنا عشر[٣] ألف

(١) لا يوجد هذا الترقيم للفصول فى نسخة (ك) فى جميعها.

(٢) زيادة من (ك).

(٣) فى (ك): «اثنتى عشرة».

تسبيحة، وكان من التابعين مَن وِرده فى كلّ يوم ثلاثون ألفًا، [ومنهم مَن ورده خمسون ألفًا][١].

وحدثونا عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال، أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر، فسمع صوتًا عاليًا بالتسبيح ولم يرَ أحدًا، فقال: مَنْ أنت، أسمع صوتك ولا أرى شخصك؟ فقال: أنا مَلَك من الملائكة موكَّل بهذا البحر، أسبِّح اللهَ عزّ وجلّ هذا التسبيح منذ خُلقتُ. قلت: فما اسمك؟ قال: مهيهائيل. قلت: فما ثواب من قاله؟ قال: من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة، أو يُرى له. وهو هذا التسبيح: سبحانَ الله العلىِّ الدَّيَّان، سبحان الله شديد الأركان، سبحان مَن يَذهب بالليل ويأتى بالنّهار، سبحانَ من لا يَشْغله شَانٌ عن شان، سبحان الله الحنَّان المنَّان، سبحان الله المسبَّح فى كلّ مكان.

وإن كان للعبد من الصلاة أورادٌ معلومة فحسنًا قد فعل [ذلك]، وكان من التابعين مَن وِرْدُه فى كلّ يوم ثلاثمائة ركعة، وأربعمائة ركعة. وكان منهم مَنْ ورده ستّمائة ركعة إلى ألف ركعة. وأقلّ ما نُقل عنه من الأوراد مائة ركعة فى اليوم [والليلة][٢].

وكان كُرز بن وَبْرة مُقيمًا بمكة، وكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعًا، وفى كل ليلة سبعين أسبوعًا[٣]. قال: فحَسَبْنا ذلك فكان عَشْرة فراسخ. [وفى] هذه الأسابيع مائتان وثمانون ركعة. قال: وكان يختم ـ مع ذلك ـ القرآنَ فى اليوم والليلة مرتين. وقال هشام بن عِروة: كان أبى يواظب على وِرده من التّسبيح كما يواظب على حزبه من القرآن. وروى عنه أيضًا: كان يواظب على حزبه من الدعاء كما يواظب على حزبه من القرآن.

ولا يدع العبدُ أن يسبِّح أدبارَ الصلوات الخمس مائة تسبيحة عند كل صلاة

---

(١) ساقطة من (ط)، وكذا فى الموضعين التاليين.

(٢) ما ذكره هنا شىء لم يثبت فى السّنة ولم يؤثر عن الصحابة، بل الذى ورد فى السُّنّة يخالف ذلك. وفى إطالة الركوع والسجود والذكر غنًى عن هذه الكثرة المتكلفة.

(٣) الأُسْبوع من الطَّواف: سبعة أطواف، وطُفتُ بالبيت أُسبوعًا، أى: سَبْعَ مرّات.

مكتوبة، وكذلك عند النوم مائة. وليواظب على أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى ما جاء فى تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر:٦٣] فإنّ لذلك ثوابًا عظيمًا.

ورُوينا عن عثمان رضى الله عنه أنه سأل النبى ﷺ عن تفسير هذه الآية: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، فقال: «لقد سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحد قبلك، هو: لا إله إلاّ الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر اللهَ الأولَ والآخرَ والظّاهرَ والباطنَ، له الملك وله الحمد، بيده الخيرُ، وهو على كل شىء قدير. مَنْ قالها عشرًا حين يصبح وحين يمسى أعطى بها ست خصال؛ فأول خصلة: يُحرس من إبليس وجنوده. والثانية: يُعطَى قنطارًا من الأجر. والثالثة: يُرفَع له درجةٌ فى الجَنة. والرّابعة: يُزوِّجه الله عزّ وجل من الحُور العين. والخامسة: يحضرها اثنا عشر مَلَكًا. والسادسة: يكون له من الأجر كمن حَجَّ واعتمر»[1].

وقد روينا فى تفسيرها قولاً آخر، من رواية أخرى، واتصل به ذكر كَنز أهل الجنة ما هو، فإن ضمّ هذا إليه فقد جمع الروايتين، واستوعب الفضيلتين. رواه عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن عثمان بن عفان رضى الله عنه، أنه سأل النبى ﷺ مسائل فأجابه عنها، فقال: ما مقاليدُ السموات والأرض؟ فقال: أن يقول العبدُ: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وأمّا كنزُ أهل الجنة، فيقول: سبحان مَن فى السماء عرشُه، سبحان مَن فى السماء موضعُ أثره، سبحان مَن سَبقت رحمتُه غَضبَه، سبحان من لا ملجأ ولا مهرب إلا إليه. يا عثمان مَن قالها كلّ يوم عشر مرات كُتب له بها ست خصال: ينجيه الله من إبليس وجنوده، وإن مات مات شهيدًا، وبنى له قصرًا فى الجنة، وكأنّما قرأ التوراةَ والإنجيل والزبور والفرقان، وكأنما اشترى ثمانيةً من ولد إسماعيل وأعتقهم[2].

---

(١) ذكر القرطبى هذا الحديث فى تفسيره ١٥/ ٢٧٥، وذكر أن الثعلبى ذكره فى تفسيره وزاد الزيادة التى رواها صاحب القوت هنا. وأخرجه بمعناه أبو عوانة ١/ ١٦٨.

(٢) المذكور هنا خمسة فقط، وسيجىء تخريج هذا وغيره فى آخر الكتاب.

ولا يدع قراءةَ هذه الآيات الستّ[١] عند كلّ صلاة يصليها، فريضة أو تطوّع، ففى ذلك ثواب عظيم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ على المرسَلِين * والحَمْدُ لله ربِّ العَالمِينَ﴾[٢] [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢]، وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وله الحَمْدُ فى السَّموات والأرض وعَشِيًّا وحِينَ تُظْهِرُون يُخْرِجُ الحىَّ مِنَ الميِّتِ ويُخْرِجُ الميِّتَ مِنَ الحىِّ ويُحْيِى الأرضَ بَعْدَ مَوْتِها وكَذلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[٣] [الروم: ١٧ ـ ١٩].

ويَستغفرُ[٤] للمؤمنين والمؤمنات فى كل يوم خمسين مرة، خمسًا وعشرين إذا أصبح، وخمسًا وعشرين إذا أمسى، فإنه يُكتب من الأبدال بأثر فى ذلك[٥] رويناه، ولفظ الاستغفار الذى جاء فى الخبر أن يقول: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، حيِّهم وميِّتهم، شاهدِهم وغائبهم، قريبهم وبعيدهم، إنك تعلم متقلَّبهم ومثواهم».

وليقل هذا الاستغفار فى تشهده أيضًا، فقد جاء ذلك.

وليقل فى كل عشر مرات: اللهم أصلح أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم فرِّج عن أمة محمد ﷺ، يقال: مَنْ قاله فى كل يوم كُتب له ثوابُ بَدلٍ من الأبدال.

وليقل إذا أصبح ثلاثًا، وإذا أمسى ثلاثًا: اللهم أنت خلقتنى، وأنت هديتنى، وأنت تطعمنى، وأنت تسقينى، وأنت تميتنى، وأنت تحيينى، وأنت ربى لا ربّ لى

(١) فى (ط): «وليواظب على قراءة هؤلاء الست آيات».

(٢) فى (ط) ذكر جزءًا من الآية، وهى مذكورة بتمامها فى (ك).

(٣) فى (ط) ذكر جزءًا من الآية الأولى، وهى مذكورة بتمامها فى (ك).

(٤) فى (ط): «واستغفر».

(٥) يقصد الحديث الذى روى عنْ أبى الدرداء أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعًا وعشرين مرة أو خمسًا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم، ويرزق بهم أهل الأرض» ضعفه الألبانى، انظر: ضعيف الجامع الصغير، رقم ٥٤٠٤، ومجمع الزوائد ١٠/ ٢١٠.

سواك، ولا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك. فإن فى ذلك شكر نعمة يومه.

ولا يدع أن يقول كلّما استيقظ من نومه وكلما أراد المنام هذه الكلمات: بسم الله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، ما شاء اللهُ كلُّ نعمةٍ من الله، ما شاء الله الخيرُ كله بيد الله، ما شاء لله لا يصرف السوءَ إلا الله. ففى هذا عِصمة من الله عزّ وجلّ وحِرْز له من الشيطان. وقد جاء فى الخبر: «مَنْ قالهنّ مائة مرة يوم عرفة قبل غروب الشمس ناداه الله عز وجلّ من فوق عرشه: قد أرضيتنى وعلىّ رضاك، سَلنى ما شِئت أعطك».

ولا يدع أن يقول كل غداة وكل عشية: ﴿فإن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إلهَ إلا هُو عَلَيْه تَوكَّلْتُ وهو رَبُّ العَرْشِ العَظِيم﴾ [التوبة:١٢٩] سبع مرات.

وكذلك يسأل الله الجنة، ويستعيذ به من النار، سبعًا، وكلما سمع الأذان قال كما يقول المؤذن، فإذا فرغ فليقل: رَضِيتُ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا. اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامة، والكلمةِ الصادقة، والصلاةِ القائمة، صلِّ على محمد وعلى آله، وأعطه الوسيلةَ والفضيلة [والدرجة الرفيعة][1]، وابعثه المقامَ المحمود الذى وعدته.

فإن كان الأذان لصلاة الصبح أو صلاة المغرب زاد فى ذلك: اللهم هذا إدبارُ ليلك، وإقبالُ نهارك، وأصواتُ دعاتك، وحُضورُ صلاتك، وشهودُ ملائكتك، صلِّ على محمد وآله. ثم لِيَدْعُ بما أحَبّ، ولْيَغْتنِم الصّلاةَ والدّعاءَ بين الأذان والإقامة، فإنه يُستحب.

ولتكن هذه الكلمات هِجِّيرَه [ودِثارَه][1] وشِعاره فى الأوقات، فإنّها من دعاء الأبدال فيما بينهم، وشعارهم فى أوقاتهم: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، العفوّ الغفور، يا سلام سلِّم، يا رب، يا رب، يا ذا الجلال والإكرام، افتح بخيرٍ واختم بخير، فلا إله إلا الله الحى القيوم. سبحان ربنا إنْ كان وَعْدُ ربِّنا لمفعولاً. يا رب، يا رب، يا الله، يا الله، يا عزيز، يا عزيز، يا قريب يا قريب، يا حليم، يا ستار.

(١) ما بين المعكفات من (ك). هجِّيره: دأبه وشأنه. دِثاره: لِباسه.

سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً. يا الله، يا الله، يا عزيز، يا عزيز، يا قريب، يا قريب، يا كريم، يا غفار، يا واسعَ المغفرة اغفر لى، عافنا واعف عنا، نسألك العفو والعافية، يا غياث المستغيثين.

وفى جميع ما ذكرنا فضائل وردت بها الآثار عن النبى ﷺ وعن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، طوينا نشر ذلك؛ إذ لم يكن قصدنا ذكر فضائل الأعمال، وإنّما أردنا شرحَ أوراد العُمّال.

ولا يدع السِّواك كلما استيقظ من نوم النهار أو الليل، فإنه يقال إنه من خير خِصال الصّائم، إلا بعد العصر فقد كُره [ذلك] للصائم.

وفى الخبر: «طيِّبوا طرق القرآن من أفواهكم بالسّواك»(١). وفى الحديث: «السِّواك مطهرة للفم مرضاة للرب عزّ وجلّ»(٢). ويقال: «إن الصّلاة بعد السّواك تَفْضُل على الصّلاة بغير سواك سبعين ضِعفًا»(٣).

وأوكد ما استُعمل فيه السّواك أربعةُ أوقات: قبل الزّوال للصّائم، ويوم الجمعة مع الغسل لها، وفى قيام الليل، وبالغَدَاة عند الاستيقاظ من النوم.

وقد كانوا يستحبون أن لا يأتى على العبد يوم وليلة إلا تصدَّق فيه بصدقة وإن قلّ، مثل لقمة أو تمرة، حتىّ كان بعضهم يتصدّق ببصلة وبخيط؛ لأنه جاء فى الأثر: «كلّ امرئ يوم القيامة فى ظل صدقته»(٤). والله سبحانه يشكر القليل الدائم، وهو أحب إليه من الكثير المنقطع، ألم تر كيف ذَمَّ مَن أعطى وقطع فى قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ [النجم:٣٤]، أى قطع. ومدح فواكه الجنة

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب السواك، عن على، انظر صحيح ابن ماجه رقم ٢٣٦، ولفظه «إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك». والصحيحة، رقم ١٢١٣.

(٢) أخرجه البخارى، كتاب الصوم ب٢٧، والنسائى، كتاب الطهارة.

(٣) من حديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٦/ ٢٧٢ من حديث عائشة، والحاكم فى المستدرك ١/ ١٤٦، ولفظ المسند: «فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير السواك بسبعين ضعفًا».

(٤) فى المسند ٤/ ١٤٨ من حديث عقبة بن عامر بلفظ: «كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس».

يعيب بذلك فواكه الدنيا فى تدبُّر الخطاب فقال: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢ ـ ٣٣]، أى: فازهدوا فى فواكه الدنيا فإنها مقطوعة ممنوعة، رغبةً فى هذه الدائمة.

وكان من أخلاق السلف أن لا يردّوا سائلاً إلا بشىء وإن قَلَّ، لقول رسول الله ﷺ: «اتقوا النّار ولو بشِقّ تمرة»[١]، ولقوله ﷺ: «للسائل حقٌّ، ولو جاء على فرس مطوَّق بفِضَّة»[٢]، ولقوله ﷺ: «لا تردّ السائل ولو بظِلْفٍ محترق»[٣].

ودفعت عائشة رضى الله عنها إلى السائل عنبة واحدة، قال: فنظر بعضنا إلى بعض، فقالت: ما لك؟ إنّ فيها لمثاقيل ذرة كثيرة.

وقد كان من أخلاقهم أن لا يُسأل أحد شيئًا، أو يُراد بأمر مباح، فيقول لا، لكراهتهم الخلاف ومحبتهم الائتلاف. وكان ذلك من أخلاق رسول الله ﷺ: «ما سُئل شيئًا قط فقال: لا، فإن لم يقدر عليه سكت»[٤].

وقد كانوا يجتمعون على الأمر الواحد بقَلْب واحد، ولا يستبدُّ بعضهم بأمرٍ دون بعض، ولا يستأثر أحدُهم بشىء دون أخيه، وبذلك وصفهم الله عزّ وجلّ فى قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨] أى: أمورهم مشاعة فيما بينهم غير مقسومة، هم فيها سواء.

ويُستحبّ للعبد أن يعمل فى الجمع بين أعمال أربعة[٥] [فى يوم واحد، فإذا اتفقت له فهى نعمة من الله عز وجلّ:] صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود

(١) أخرجه البخارى، كتاب الأدب ب٣٤، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم ٦٧، من حديث عدى بن حاتم، وفى غيرهما من كتب السنة.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب حق السائل، رقم ١٦٦٥، وضعيف أبى داود، رقم ٣٦٤، من حديث حسين بن على، دون قوله: «مطوق بفضة».

(٣) أخرجه النسائى، كتاب الزكاة، باب رد السائل رقم٧٠٠، والصحيح ٢٤٠٥، والمسند ٤/ ٧٠، ٥/ ٢٨١، من حديث حواء بنت السكن بلفظ: «ردّوا السائل».

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، ب٤ ح ٥٦، وأحمد فى المسند ٦/ ١٣٠ من حديث جابر بن عبد الله.

(٥) فى (ط): «أن يجمع بين هذه الأعمال الأربعة» وأثبت ما فى (ك)، وما بين المعكفات من (ك).

جنازة. وقد كان هذا طريق المريدين يسارعون إليه ويحرصون عليه. وفي الخبر: «مَنْ جمع بين هذه الأربع في يوم غُفر له». وفي بعضها: «دخل الجنة»[١]. فإن اتفقَ له منها ثلاث أو اثنان فأعجزه[٢] ما بقي، حُسب له تمامها، لحُسن نيّته [لذلك].

ولا يدعنَّ الجماعة سيما إذا سمع التأذين، أو كان في جوار المسجد. وحدُّ الجوار أن يكون بينه وبين المسجد ثلاث دور [ومنزله هو الرابع]. وأولى المساجدِ أن يصلِّي فيه أقربها منه، إلا أن يكون له نية في الأبعد لكثرة الخُطى [مع حصول السلامة]، أو لفضل الإمام فيه، والصّلاةُ خلف العالم الفاضل أفضل. أو يريد أن يعمر بيتًا من بيوت الله عزّ وجلّ بالصّلاة فيه، وإن بَعُد.

وقال سعيد بن المسيب: من صلّى الخمس في جماعة فقد ملأ البرَّ والبَحْر[٣] عبادة.

وليتوضأ لكلّ صلاةٍ قبل دخول وقتها، فإنّه من المحافظة عليها، وحُسن القيام بها[٤].

وقال أبو الدرداء، وحَلَف بالله، وما سمعته حالفًا بالله قط، قال: «من أحبِّ الأعمال إلى اللهَ عزّ وجلّ ثلاث: أمرٌ بصدقة، وخطوة إلى صلاةِ جماعة، أو إصلاح بين الناس».

ويستحب له كلّما دخل منزله[٥] أن يصلي ركعتين[٦]، وكلما خرج منه صلّى ركعتين. وقد كان السّلف لا يخرجون من منازلهم حتى يتوضؤوا. ويستحب له

(١) ليس بلفظه في معجم الطبراني الكبير ١١/ ١٤٣.

(٢) في (ك): «وأعجز له».

(٣) في (ط): «البرين والبحرين» وأثبت ما في (ك)، وما بين المعكفات كلها من (ك).

(٤) في (ط): «ومن حسن معاملتها» وأثبت ما في (ك).

(٥) في (ط): «ويستحب له كلما دخل المسجد أو منزله»، والصواب ما أثبت من (ك).

(٦) بعدها في (ط): «فإن ذلك من عمل الأبرار» وليس كذلك في (ك)، وقد تكررت بعد ذلك، فحذفتها.

كلّما أحْدثَ أن يتوضأ، وكلما توضأ أن يصلّى ركعتين، فإنّ ذلك من عمل الأبرار، وهو لمن مات على هذا العمل شهادة.

وإذا خرج من منزله قال: بسم الله ما شاء الله، حسبى الله، توكلت على الله، لا قوة إلا بالله. اللهم إليك خرجتُ وأنت أخرجتنى، اللهم سلّمنى وسلّم منى فى دينى كما أخرجتنى. اللهم إنى أعوذ بك أن أزِلَّ [أو أُزَلّ، أو أَضِلَّ] أو أُضَلّ، أو أظلم أو أُظلم، أو أجْهَل أو يُجْهل علىَّ. عزّ جارُك، وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك، وليقرأ سورة الحمد، والمعوذتين.

ولا يدع صلاةَ الضحى أربعة ركعات، ويزيد ما شاء الله إلى ثمان ركعات إلى اثنى عشر ركعة، ولا يزيد على ذلك، إن نشط أطالهن، وإن فتر قَصَرهن، وليجعل من قراءته فيهنّ: والشمس وضحاها، وسورة الضحى، وآخر سورة البقرة، وآخر سورة الحشر. ثم ليتنفّل بعد ذلك بما شاء من غير أن تكون ورد الضحى، فيلزمه المواظبة عليه[١].

وفى حديث عائشة رضى الله عنها: «إن النبى ﷺ كان يصلّى الضحى أربعًا، ويزيد ما شاء الله»[٢].

وفى خبر عن الله عزّ وجلّ: «يا ابن آدم، صلِّ لى أربع ركعات فى أول النهار أكْفِك آخره»[٣].

وفى حديث أم هانئ بنت أبى طالب: «إن النبى ﷺ صلّى الضحى ثمان ركعات»[٤].

وفى الخبر: «يُصبح ابنُ آدم وعلى كلِّ سُلامى من جَسده صَدَقة، يعنى فى كل مِفْصل، وفى جسده ثلاثمائة وستون مِفْصلاً؛ فأمرُك بالمعروفِ صدقة، ونهيُكَ عن

(١) فى (ك): «ثم ليتنفل بعد ذلك ما شاء الله، من غير أن يكون يلزمه المواظبة عليه».

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، ب١٣، ح رقم ٧٨.

(٣) أخرجه الترمذى، كتاب أبواب الصلاة، ح رقم ٤٧٨، والصحيح رقم ٣٩٥، من حديث أبى الدرداء، والمسند ٥/ ٢٨٧.

(٤) من حديث طويل أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم ٨٢.

المنكر صدقة، وحملُك عن الضّعيف صدقة، وهدايتُك إلى الطريق صدقة، وإماطتُك الأذى صدقة، حتى ذكرَ التسبيحَ والتهليل، ثم قال: وركعتا الضحى تأتى على ذلك كله»[١]. أو قال: «تجمعن لك ذلك [كله]».

وقد كان من سيرة المتقدمين دخولُ المسجد سَحَرًا قبل طلوع الفجر، والقعود فيه إلى صلاة الصبح، ويفضّلون هذا الفعل. حدثونا عن رجل من التابعين قال: دخلت المسجدَ قبل طلوع الفجر، فألفيتُ أبا هريرة قد سبقنى، فقال: يا ابن أخى، لأىّ شىء خرجتَ من منزلك هذه الساعة؟ فقلتُ: لصلاة الغداة. فقال: أبْشِر، فإنّا كنّا نعدُّ خروجنا وقعودنا فى هذا المسجد هذه الساعة ننتظر الصلاة بمنزلة غَزوة فى سبيل الله عزّ وجلّ. أو قال: مع رسول الله ﷺ.

وأفضل الأوقات المرجوّ فيها الإجابة أربعة: عند السَّحَر، وعند طلوع الشمس، وعند غُروبها، وبين الأذان والإقامة. وأفضل أوقات الليل والنهار أوقاتُ الصلوات المكتوبات.

وإذا دعا الله سبحانه وتعالى فَلْيَدْعُه بمعانى أسمائه فإنها صفاته، وهو يحبّ ذلك، وإنما أظهرها ليُعرفَ بها وليُدعى بها[٢]، مثل أن تقول: يا جبّار اجبر قلبى، يا غفار اغفر ذنبى، يا رحمن أصلحنى، يا رحيم ارحمنى، يا توّاب تب علىّ، يا سلام سلّمنى.

واستُحب أن يدعو الله عزّ وجلّ بأسمائه التسعة والتسعين فى كل يوم وليلة مرة، فإنه روى عن النبى ﷺ قال: «من أحصاها دخل الجنة»[٣]، وهى متفرقة فى جميع القرآن. فمن دعا الله عزّ وجلّ بها [مُخلصًا] موقنًا كان كمن ختَمه. فإن تعذر عليه حفظها فإنها منشورة على غير ترتيب، فليتطرق إليها من حروف المعجم، فليذكر من كل حرف ما فيه، كأن يبتدئ بالألف فينسق ما عليه من الأسماء، ثم بالباء، ثم بالتاء، فيقول: يا الله، يا أول، يا آخر، يا بارئ، يا

(١) هذا بمعناه، وأصله فى مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم ٧٠٢.

(٢) فى (ط): «ليعرف بها الداعى، وليدع بها» وأثبت ما فى (ك).

(٣) أخرجه البخارى، كتاب التوحيد، ب١٢، من حديث أبى هريرة.

باطن، يا تواب. وقد يتعذّر عليه وجودُ بعضها فى بعض الحروف كغيرها، إلا أنها تخرج فى سائر الحروف المتيسرة بالأسماء الظاهرة، فإذا عدّ من الأحرف تسعة وتسعين اسمًا أجزأه؛ لأنه يجد فى الحرف الواحد العشرة فأكثر، ودونَ ذلك فلا يضرّه إن لم يعرف فى بعض الحروف اسمًا إذا أحصى العدد، فقد حصل له الفضل، للأثر فى ذلك[١].

• ذكر صلاة التسبيح:

استُحب له أن يصلّى صلاة التسبيح فى الجمعة مرتين: مرة نهارًا ومرة ليلاً؛ وهى ثلاثمائة تسبيحة فى أربع ركعات. إن صلاها نهارًا لم يفصل بينهن بتسليم، وإن صلاها ليلاً سلّم فيها سلامين، فقد كان الصالحون يصلونها، ويتعرفون بركتها، ويتذاكرون فضلها. وقد روينا فيها روايتين:

إحداهما: حديث الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: «ألاَ أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك بشىء إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبكَ أوله وآخره، قديمَه وحديثه، خطأهُ وعَمْده، سِرّهُ وعلانيته: تصلّى أربعَ ركعات تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتابِ وسُورة. فإذا فرغتَ من القِراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلتَ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمسَ عشْرة مرة. ثم تركع فتقولها عشراً. ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرًا. ثم تسجد فتقولها عشراً. ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً. ثم تسجد الثانية فتقولها عشراً. ثم ترفع من السجود ثم تجلس فتقولها عشراً. ثم تقوم. فذلك خمسة وسبعون فى كل ركعة. تفعل ذلك فى أربع ركعات. إن استطعت أن تصلّيها فى كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففى كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففى عمرك مرة»[٢].

(١) فى الفقرات الأربع الماضية اختلاف فى الترتيب بين المطبوعة والمخطوط.

(٢) صحيح ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، رقم ١١٣٩، وصحيح أبى داود رقم ١١٥٢، وفى رواية أخرى لابن ماجه صحيحة أيضًا وفى آخرها: «فلو كانت ذنوبك مثل رَمْل عالج غفرها الله لك».

حُدِّثناه عن أبى داود السجستانى، فقال: ليس فى صلاة التسبيح حديث أصحّ من هذا، فذكر فى هذه الرواية: أنه يسبح فى القيام خمس عشرة مرة بعد القراءة، وأنه يسبح عشرًا بعد السجدة الثانية فى الركعة الأولى قبل القيام، كأنه يجلس جلسة قبل أن ينهض، وفى الركعة الثانية أيضًا، وكذلك قبل التشهد.

وروينا فى الخبر الآخر: أنه يفتتح الصلاة فيتوجه، ويقول: سبحانك اللّهم وبحمدك، تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة، ثم يقرأ الحمد وسورة، ثم يسبح عشرًا، ثم يركع فيكون له فى قيامه خمس وعشرون تسبيحة. ولا يسبح بعد السّجود فى الجلسة الأولى بين الركعتين ولا فى جلسة التشهد شيئًا.

وكذلك روينا فى حديث عبد الله بن زياد بن سمعان، عن معاوية بن عبد الله ابن جعفر عن أبيه: أن النبى ﷺ علمه صلاة التسبيح قال فيها: يفتتح الصلاة مكبِّرًا. ثم يقول، فذكر الكلمات، وزاد فيها: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وقال فيه: يقول ذلك خمس عشرة مرة. ولم يذكر بعد السجدة الثانية عند القيام أن يقولها. وهذه الرواية أحبّ الوجهين إلىّ، وهو اختيار عبد الله بن المبارك.

حدثونا عن سهل بن عاصم، عن ابن وهب قال: سألت ابن المبارك عن الصلاة التى يُسبَّح فيها، فقال: يقول: سبحان الله، والحمد لله... الكلمات، خمس عشرة مرة. ثم يتعوّذ ويقرأ فاتحة الكتاب وسورة. ثم يقولها عشرًا ثم يركع، وذكرها. قال: فذلك خمس وسبعون، يصلّى أربع ركعات على هذا، إن صلّيت ليلاً فأحب أن يسلم فى الركعتين، وإن صلّيت نهارًا صلّيت أربعًا، وإن شئت سلّمت. وإذا عدَّ فى الركوع فعدَّ بأصبعه على ركبتيه، وفى السجود بأصبعه على الأرض.

وحدثونا عن محمد بن جابر قال: قلتُ لابن المبارك: فى صلاة التسبيح إذا رفعت رأسى للقيام من آخر السجدتين أسبِّح قبل أن أقوم؟ قال: لا، تلك القعدة ليست من سُنَّة الصلاة.

وقال ابن أبى رزمة عن ابن المبارك: قلتُ له: يقول: سبحان ربى العظيم ثلاث مرات، سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات، قال: نعم. قلت: فإن سها يسبِّح فى السهو عشرًا. قال: لا، إنّما هى ثلاثمائة تسبيحة.

وأحب أن تكون السورة التى يقرأها فى صلاة التسبيح مع الحمد فوق العشرين آية. فقد روينا فى حديث عبد الله بن جعفر، الذى رواه إسماعيل بن رافع، أن النبى ﷺ قال فى السورة التى بعد أمّ القرآن: عشرين آية فصاعدًا.

وكذلك أحبُّ زيادةَ: لا حول ولا قوة إلا بالله، لما ذكرناه فى الخبر الآخر، فإن قرأ مع فاتحة الكتاب فى كل ركعة عشر مرات: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، فقد ضاعفَ العددَ واستكمل الأجرَ.

* * *